

قصة مجنون ليلي في الأدبين العربي و الفارسي

الدكتور صاحبلي اكبري

جامعة إعداد المعلمين في سيزوار

(از ص ٧٣ تا ٩٣)

خلاصة :

المقارنة أو الموازنة موضوع عام له قدمة تاريخية. قد قارن الإنسان بين الأشياء منذ خلقه الله تعالى. في القرآن الكريم نجد آيات كثيرة تشير إلى هذه المسألة. قال الله تعالى: «قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون»؛ في هذه الآية مقارنة بين الذين يعلمون و الذين لا يعلمون. فالإنسان في دراساته اتخذ المقارنة سبيلاً له إلى الحقائق الجوهرية المرتبطة بميادين بحثه. و اللغات و هي أدوات التعبير عن الأدب خضعت للدراسة المقارنة فكان لها أثرها العميق. قصة مجنون ليلي أحد الموضوعات التي يمكن وضعها في ميزان المقارنة في الأدبين العربي و الفارسي. مع أن القصة لها أصل عربي فدخلت في الأدب الفارسي في العصور الآتية و لكننا نجد بعض المميزات البارزة للقصة الواردة في الأدب الفارسي خاصة عند نظامي الكنجوي. لا نجدها في أصلها العربي. منها تأويل بعض المصطلحات تأويلاً صوفياً. و العناية بالإعلاء من شأن الفضائل الأخلاقية و تصوير معاني الاستقلال و الشجاعة و الحب العذري العفيف في صور رائعة. فالسبب الذي مكّن الفرس من نظم المطولات راجع إلى نوع خاص من أنواع الشعر يسمى «المثنوي». هذا النوع فارسي في نشأته و لم تعرفه الأشعار العربية القديمة و إن كان بعض الشعراء المعاصرين قد استخدموه في نظم الأشعار العربية المتأخرة عرفت باسم «المزدوج» منذ نهاية القرن الرابع الهجري.

المفردات الرئيسية: مجنون، ليلي، الأدب المقارنة، نظامي الكنجوي.

المقدمة:

المقارنة أو الموازنة موضوع عام له قدمة تاريخية. في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى مسألة المقارنة. منها:

- «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ». (الأعراف / ١٢)

- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ». (الزمر / ٩)

- وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ». (فصلت / ٣٤)

- «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ

سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ». (النحل / ٧٥)

فالإنسان في دراساته المختلفة اتخذ المقارنة سبيلاً له إلى الحقائق الجوهرية المرتبطة بمبادئ بحثه. مثلاً في علم الحيوان يقارن الدارسون بين الحيوانات المختلفة فيقسمونها إلى أجناس وأنواع. وهذا التقسيم مبني على ملاحظة الخصائص الجوهرية لكل جنس من الأجناس و كل نوع من الأنواع المتباينة. وقد سلك الباحثون منذ زمن بعيد في شتى العلوم سبيل الموازنة، فانتهوا إلى نتائج مفيدة و هذه النتائج كانت ثمرة للدراسة الدقيقة المبنية على الموازنة.

واللغات وهي أدوات التعبير عن الأدب خضعت لمثل هذه الدراسة المقارنة فكان لها أثرها العميق. لقد طبقت الدراسة المقارنة على المفردات اللغوية كما طبقت على المركبات، وكان من نتائج تطبيق الدراسة المقارنة على المفردات أن وجد لدينا علم اللغة بفروعه المختلفة، كما كانت نتائج هذا التطبيق على المركبات في اللغات المختلفة ذات الأصل الواحد، أنه وجدت لدينا دراسات كثيرة في النحو المقارن.

و مما يجدر الانتباه إليه أن مستند الدراسة المقارنة في العلوم البحتة و التطبيقية وحدات مادية ملموسة. أما الدراسة المقارنة في الأدب لا تتناول قضايا محسوسة. بل هي تدور حول تأثيرات قد تتضح و قد تختفي.

إن الأدب المقارن في العصر الحاضر ثمرة لتطور الدراسات الأدبية في العصر

الحديث. و ليس معنى هذا القول أن الموازنة في الدراسة الأدبية من مبتكرات هذا الزمان. فقد عرفت المقارنة ضمن نطاق الأدب الواحد، و كذلك بين الآداب المختلفة منذ أزمان بعيدة. ففي الأدب العربي مثلاً نجد كتاب «الموازنة بين أبي تمام و البحتري» للآمدي و كتاب «الوساطة بين المتنبي و خصومه» للقاضي الجرجاني. (زغلول، ج ١، ص ١٥ و كفاي، ص ١٩)

ولئن تكلمنا عن العصر المعاصر و أثره في الدراسات الأدبية المقارنة، فيجب علينا أن نذكر العوامل الهامة التي أدت إلى ذلك، و منها:

١- توثق الروابط بين أرجاء العالم، ففي يومنا هذا وسائل المواصلات السريعة قد ربطت بين الأمم المختلفة و الأواصر الموجودة بين الأمم في العصر المعاصر أقوى مما كانت في سالف الأزمان.

٢- انتشار فن الترجمة و في الترجمة ما يستحث الدارسين على التوسع في دراسات آداب الأمم الأخرى و مقارنتها بالأدب القومي.

٣- الطباعة في العصر الحديث قد يسرت الحصول على الكتب المختلفة بأثمان رخيصة بالنسبة إلى العصور الماضية.

٤- الدراسات العلمية و الفلسفية و الاجتماعية في العصر الحديث نشأت عن تفسيرات جديدة للأدب و بهذه التفسيرات توسع سبيل الدراسات الأدبية.

و مما يجدر الإشارة إليه أن لدارس الأدب المقارن شروطاً أساسية و منها :

١- يجب أن يكون الدارس في الأدب المقارن على علم بالحقائق التاريخية للعصر الذي يريد دراسته، ليستطيع إحلال الإنتاج الأدبي محله من الحوادث التاريخية. مثلاً لدراسة نشأة الأدب الفارسي بعد الفتح الإسلامي لا بد من دراسة ألوان النزاع السياسي و الجنسي بين الشعبين العربي و الفارسي و الصلات الموجودة بين الدويلات الإيرانية و بين الخلفاء العباسيين في أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادي عشر و هو الوقت الذي وصل إلينا فيه أقدم ما ألف من نثر فارسي.

- ٢- يجب على باحث الأدب المقارن أن يعرف معرفة تامة تاريخ الآداب المختلفة في العصور المختلفة خاصة في العصر الذي هو موضوع دراسته.
- ٣- على الدراس أن يستطيع قراءة النصوص المختلفة بلغاتها الأصلية.
- ٤- على الباحث أن يكون ملماً بالمراجع العامة. عالماً بمنهج البحث في المسائل. فعلى من يريد أن يدرس الصلات الأدبية الموجودة بين العرب والفرس أو يبحث فيما يخص اللغة العربية ونصوصها في كتب الأدباء والمؤرخين الذين كتبوا بالعربية وهم من أصل فارسي، كالطبري وابن المقفع والذين هم من أصل عربي ولكنهم تعلموا اللغة الفارسية وكتبوا بالفارسية كالشيخ محمد عبده. (محمد السعيد، ص ٣٣)

مجنون ليلى بين الحقيقة والخرافة؛

كان في العصر الأموي، وفي الحجاز خاصة، عدد من الأشخاص الذين تيممهم العشق واستولى عليهم حب امرأة عرفوها من قرابة أو جوار فخرج بهم الحب إلى الجنون وكان من هؤلاء المجانين نفر من بني عامر بن صعصعة وأشهر هؤلاء كلهم شخص يلقبونه مجنون ليلى و يذكرون أنه قيس بن الملوّح أو قيس بن معاذ، ويقولون مرة أنه مجنون بني عامر، و مرة أنه مجنون بني جعدة، وقيل بل الأوّل غير الثاني. و من الرواة من يرى أن مجنون بني عامر كان شخصاً تاريخياً موجوداً و منهم من قال إن مجنون ليلى شخص خرافي، كما ذكر عوانة بن الكلبي (فو: ١٤٧ هـ.ق. / ٧٦٤ م.). (الأصفهاني، ج ٢، ص ٣ وابن قتيبة، ج ٢، ص ٤٦٧ و فرّوخ، ج ١، ص ٤٣٦).

أما المجنون المقصود هنا: قيس بن الملوّح بن مزاحم من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقال بعض الرواة إن مجنون ليلى لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة وأنه خولط في عقله لما اشتد هيامه بليلى. أما ليلى هذه فهي كما قيل، ليلى بنت مهدي بن سعد ابن مهدي من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و تكنى أم مالك و قد كان قيس و ليلى في صغرهما يرعيان الغنم لأهلها عند جبل يقال له «التوباد» فنشأت بينهما ناشئة حب

استحكمت مع الأيام، ولكن وطأتها عليه كانت أشد. ولما اشتهر حب قيس و ليلى كره أبو ليلى أن يزوّج ليلى لقيس، و خطبها ورذّبن محمد العُقيلي فحملها أبوها على القبول به فتزوجته كارهة. و زال عقل قيس بعد زواج ليلى جملة و لكنه ظل يذكر ليلى في شعره و هذيانه ثم يحاول زيارتها، فيقال إن عمر بن عبدالرحمن بن عوف، أهدر دمه إن هو حاول الاتصال بليلى. و يبدو أن مجنون ليلى توفي بعد ذلك بقليل. (سنة ٧٠ هـق. / ٦٨٩ م.) (فروخ، ج ١، ص ٤٣٧) و يبدو أن قيساً عندما شعر الحرمان. لجأ إلى الشعر و استطاع أن يحوّل هذه العاطفة الحبيبة إلى عمل فني و كان يشعر براحة إذا عمد إلى فنه الشعري الذي أصبح بمثابة متنفس له ممّا يعانیه من كرب و ألم، يصف قيس هذا الإحساس بقوله:

و ما أشرف الأيفاع إلا صباية
فإن تمنعوا ليلى و تمحوا بلادها
ولا أشد الأشعار إلا تداويا
عليّ، فلن تمحوا عليّ القوافيا

(محمد السعيد، ص ٢١٤)

و من الدليل على أن اسمه قيس قول ليلى صاحبه فيه :

ألا ليت شعري و الخطوب كثيرة
متى رحل قيس مستقل فراجع

(الأصفهاني، ج ٢، ص ٣ و مابعدا)

مجنون ليلى في الأدب العربي؛

كان من أهم من عني بأخبار «مجنون ليلى» أبو الفرج الأصفهاني (فو: ٣٥٦ هـق) موسوعته المعروفة باسم «كتاب الأغاني» و داود الأنطاكي في كتاب «تزيين الأسواق في أخبار العشاق». فقد حاول أبو الفرج أن يستقصي أخبار المجنون من مصادرها الأصلية، و يلتقي بالرواة ليسألهم عن نسب المجنون و مراحل حياته و ما كان من شأنه في حب «ليلى» و ذهب البعض كالأصمعي و ابن الكلبي إلى إنكار وجود مجنون بني عامر و إن كانا يعترفان بوجوده في روايات أخرى.

يعتقد الدكتور طه حسين أن قيساً لم يكن له وجود تاريخي و أنه لم يصح له أصل و لا

نسب و أن ما نسب إليه إنما هو منحول برمته. (حسين، ج ١، ص ١٧٧ وما بعدها) مع وجود التضارب في الآراء، فإن أبا الفرج الأصفهاني أثبت كل ما سمعه و ترك للقارئ الاختيار و الانتقاء دون أن يقحم نفسه في اختيار روايات بعينها و طرح ما سواها.

لا شك في أن قصة مجنون ليلى لها أصل عربي فدخلت في الأدب الفارسي في القرون الآتية و طبيعي أن ماجاء في الأدب العربي له أصالة و لكننا لا ننكر الخيال الشعري عند «نظامي» و أمثاله الذين أدخلوا هذه القصة في شعرهم. و هنا يجدر بنا أن ندرس المميزات الموجودة لهذه القصة في الأدب الفارسي. لأن الفرس مع أنهم غلبوا أمام العرب في بعض الحروب و لكنهم انتصروا على العرب انتصاراً أدبياً - (حسين، ج ١، ص ١٧٧ و ما بعدها) لهذا الدليل يجدر دراسة هذه القصة في الأدب الفارسي أكثر من دراستها في الأدب العربي.

ما هو سبب نجاح الشعراء الفرس في إنشاد المطولات؟

يعتقد عزالدين ابن الأثير (٦٣٠ هـ) (محمد السعيد، ص ٢٢٩) أن العربي إذا أراد أن يشرح أموراً متعددة ذوات معان مختلفة في شعره و احتاج إلى الإطالة بأن ينظم مئتي بيت أو ثلاثمئة أو أكثر من ذلك فإنه لا يجيد في الجميع، و لا في الكثير منه، بل يجيد في جزء قليل و الكثير من ذلك رديء غير مرضي و ينقل ابن الأثير من هذه الملاحظة إلى بيان أن الفرس قد نجحوا في نظم المطولات، و أحرزوا على العرب في هذا المجال الأدبي تقدماً واضحاً، رغم أن لغتهم لا تساوي شيئاً إذا قورنت باللغة العربية، يقول: و على هذا فإني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار إليها فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً من أوله إلى آخره شعراً و هو شرح قصص و أحوال و يكون مع ذلك في غاية الفصاحة و البلاغة في لغة القنوم، كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بـ«الشاهنامه» و هو ستون ألف بيت من الشعر، يشتمل على تاريخ الفرس... و هذا لا

يوجد في اللغة العربية على اتساعها، و تشعب فنونها و أغراضها و على أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر.

فالسبب الذي مكّن الفرس من نظم المطولات راجع إلى نوع خاص من أنواع الشعر يسمّى «المتنوى» و تكون القافية فيه بين جزئي البيت الواحد تتغير بتغير الأبيات. و قد سمح لهم هذا النوع من الشعر أن يتحرروا من قاعدة القافية الواحدة في القصيدة و من ثم ينطلقون إلى نظم المطولات غير ملقنين بالألإ إلى التطويل و هذا النوع فارسي في نشأته، لم تعرفه الأشعار العربية القديمة و إن كان بعض الشعراء العرب قد استخدموه في نظم الأشعار العربية المتأخرة التي عرفت باسم «المزودج» منذ نهاية القرن الرابع الهجرى.

مجنون ليلي في الأدب الفارسي؛

قصة مجنون ليلي قصة عاطفية وردت في الأدبين العربي والفارسي و تعد في الأدب الفارسي من الشعر القصصي الرومانتيكي. و قد ربطت بعض الكتب ظهور هذا النوع في الشعر الفارسي بأوائل القرن الخامس الهجري عندما نسب إلى الشاعر «ابوالقاسم حسن بن احمد العنصري» (٤٣١ هـ. ق. / ١٠٣٩ م.) نظم بعض المثنويات التي تتناول قصصاً عاطفية مثل: «وامق و عذرا»^١ و «شادبهر و عين الحياة»^٢ و إن كانت هذه المنظومات لم تصل إلينا، و كل ما وصل إلينا منها يقتصر على أبيات متفرقة مذكورة في بعض المعاجم. و يبدو أن سبب نظم هذه الموضوعات يعود إلى وجود قصص عاطفية في الأدب الإيراني القديم، امتد آثارها إلى الأدب الإسلامي، من هذه القصص يمكن الإشارة إلى ما يلي:

- قصة «رودابه و زال»، قصة «گلنار و اردشير»، قصة «شاپور»، قصة «سودابه» زوجة «كيكائوس» و ابن زوجها «سيائوش» و قصة «بيژن و منيژه» المذكورة في شاهنامه الفردوسي.

- قصة «يوسف و زليخا» المأخوذة عن قصة يوسف - عليه السلام - المذكورة في

القرآن الكريم و قد نسب نظم هذه القصة إلى الفردوسي وإن كان البعض ينسبها إلى شاعر آخر.

- قصة «ويس ورامين» وهي قصة من الأدب الإيراني القديم نظمها الشاعر فخرالدين الأسعد الجرجاني.

و قد بلغ نظم القصص الرومانتيكي ذروة الكمال في أواخر القرن السادس الهجري على يد الشاعر «نظامي الكنجوي» (فو: حوالي سنة ٦١٤ هـ. ق. / ١٢١٧ م.). فمن بين كنوزه الخمسة «پنج گنج» نجد ثلاث مثنويات ذات موضوعات عاطفية هي: «خسرو و شيرين» التي نظمها في بحر الهزج المسدس المقصور أو المحذوف باسم شمس الدين محمدجهان پهلوان (٥٨١-٥٦٨ هـ. ق. / ١١٨٥-١١٧٢ م.) و «ليلي و مجنون» المأخوذة من الأدب العربي و قد نظمها في بحر الهزج المسدس المقصور، و «هفت پيكر» و موضوعها قصة «بهرام گور» مع الأميرات السبع بنات ملوك الأقاليم السبعة، و قد اشتهر النظامي في نظم هذه المثنويات بحيث قلده الكثيرون، و منهم:

- الأمير خسرو الدهلوي (٧٢٥ هـ. ق. / ١٣٢٤ م.) في «شيرين و خسرو» و «مجنون و ليلي» و «هشت بهشت».

- خواجه الكرمانی (٧٥٣ هـ. ق. / ١٣٥٢ م.) في «روضة الأنوار» و «گهرنامه» و «كمالنامه» و «هماي همايون» و «گل و نوروز».

- نورالدين عبدالرحمن الجامي (٨٩٨ هـ. ق. / ١٤٩٢ م.) في «سلسلة الذهب» و «سلامان و ابسال» و «تحفة الأحرار» و «سبحة الأبرار» و «يوسف و زليخا» و «ليلي و مجنون» و «خردنامه».

- الهاتفي (من ٩٢٧ هـ. ق. / ١٥٢٠ م.) في «شيرين و خسرو» و «ليلي و مجنون» و «هفت منظر».

- الهاللي الجغتائي (٩٣٥ هـ. ق. / ١٥٢٨ م.) في «ليلي و مجنون» و «شاه و درويش» و «صفات العاشقين».

- الفيضي (١٠٠٤ هـق. / ١٥٩٥ م.) في «سليمان و بلقيس». (شهابي، ص ٦٦ و مابعدا) و مهما يكن من أمر، فلقد عني الأدب الفارسي بموضوع ليلى و المجنون، فنقله من الإطار التاريخي الذي ظل فيه في الأدب العربي القديم، إلى مجال الأدب المحض و كان أول من أدخل هذا الموضوع في الأدب الفارسي، الشاعر الكبير «نظامي الكنجوي» الذي استخدم في نظم القصة فنّ «المثنوى» و استطاع أن ينظمها في نحو خمسة آلاف بيت من الشعر. (زرين كوب، ص ١٦٧ و مابعدا و أيضاً، نفيسي، ص ٩٣)

أوجه التشابه في قصة مجنون ليلى في الأدبين العربي و الفارسي:

١- من النظرة العابرة لقصة ليلى و المجنون عند نظامي الكنجوي و ما جاء من أخبار مجنون ليلى في الأدب العربي يتبين لنا أن نظامي الكنجوي قد استطاع أن يجمع الروايات المختلفة و المتفرقة عن أخبار قيس و يدفع بها في سياق واحد لكي يجعل منها في النهاية قصة متتابعة الأحداث متوالية الفصول و في قصته هذه ملتزم بالإطار العام الذي رسمته الروايات العربية الواردة في «كتاب الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني و «تزيين الأسواق في أخبار العشاق» لداود الأنطاكي و غيرهما من الكتب القديمة في الأدب العربي لهذا الموضوع.

٢- نجد «نظامي» معنياً غاية العناية في قصته بالإعلاء من شأن الفضائل الأخلاقية و تصوير معاني الاستقلال و الشجاعة و النجدة و الأنفة و الحب العذري العفيف في صور رائعة كما كانت الأخلاق السائدة بين العرب و عندما جاء الإسلام هدّبها و حوّلها إلى خلق إسلامي غايته التقرب إلى الله بنشر مبادئ الحق و الخير و الجمال بين الناس، فنشاهد نفس الموضوعات في قصة ليلى و مجنون لنظامي الكنجوي و هو يتضرع إلى الله تعالى و يستعينه. هذا هو دليل على أن الأخلاق الإسلامية كانت سائدة عند نظامي الكنجوي و في عصره الذي كان يعيش فيه. انظر إلى البيتين التاليين له:

گو: یارب! از این گزاف کاری،
رحمت کن و در پناهم آور؛
توفیق دهم به رستگاری^(۱)
زین شیفتگی به راهم آور^(۲)

(نظامی، لیلی و مجنون، ص ۴۸۳)

و يقول أيضاً:

بیتی دو سه زار زار برخواند،
برداشت به سوی آسمان، دست؛
اشکی دو سه تلخ تلخ بفشانند^(۳)
انگشت گشاد و دیده بریست^(۴)
سوغند بهرچه برگزیده ست^(۵)
در حضرت یارِ خود، رسانم^(۶)
کز محنت خویش، وارهانم

(نظامی، لیلی و مجنون، ص ۲۶۴)

وله أيضاً:

دانت کزان خیال بازی،
نالید در آن که چاره ساز است
کارش نرسد به چاره سازی^(۷)
از جمله وجود، بی نیاز است^(۸)
گفت: ای در تو پناه گاهم
در جز تو کسی، چرا پناهم؟^(۹)

۱- قل یا ربّ و قفنی للفلاح و نجّنی من هذا العبث!

۲- وارحمّنی و آوینی من هذا العشق و اهدنی إلى سبیل الرشاد!

۳- آنشد آیباتاً و هو يتضّرّع و أجهش بالبكاء و هو يحسّ المرارة.

۴- رفع یدیه إلى السماء باسطاً یتأهما و مغمضاً عینیه.

۵- و قال یا من خلق کل شیء أقسم بكل شیء اختاره.

۶- نجّنی من الغمّ و أوصلنی إلى حضرة المعشوقة.

۷- فهم أن الأمر لا یصل إلى النتيجة بهذه الأفكار الباطلة.

۸- تضرع إلى من بیده الحيلة و من هو غنی.

۹- قال من هو ملاذی إلا أنت و من هو مأوای إلا أنت؟

- ای زهره و مشتری، غلامت؛ سرنامۀ نام جمله، نامت^(۱)
 ای علم تو بیش از آنکه دانند و احسان تو بیش از آنکه خوانند^(۲)
 ای بندگانِ گشای جمله مقصود؛ دارای وجود و ذاور جود^(۳)
 ای کار برآوردان؛ نیکوکن کار مستمندان^(۴)
 ای ماهمه بندگان در بند کس را نه به جز تو، کس، خداوند^(۵)

(نظامی، لیلی و مجنون، ۱۷۹)

۳- شخصیه قیس بمنابه المحور الذي تدور حوله الأحداث فهو بطل عند نظامي الكنجوى و هو في هذا يتفق مع ماورد في الأصل العربي. انظر كيف تدور عناوين القصة أغلبها عند نظامي الكنجوى حول محور المجنون: در صفت عشق مجنون - رفتن مجنون به نظارة لیلی - زاری کردن مجنون در عشق لیلی - رسیدن نوفل به مجنون - آگاهی مجنون از شوهر کردن لیلی و...

انظر إلى بعض العناوين في الأصل العربي في كتاب الأغاني: اختلاف الرواة في وجود قيس و جنونه - اختلاف الآراء حول اسم المجنون - انكار وجود المجنون - المجنون يخطب لیلی و أهلها و يزوجونها ورداً - المجنون في الحج - المجنون و الديار الخوالي - خبر اتصال المجنون بليلى و...

۴- و مما جاء في ثنايا هذه القصة عند نظامي الكنجوى إيمان قيس بالقضاء و القدر و بأن ما هو حدث له إنما هو قدر الله مكتوب عليه و أنه لا سبيل له إلى تغيير هذا القدر.

۱- یا من بخدمتك النجمان «الزهرة» و «المشتری» و یا من اسمه بدء كل مكتوب!

۲- یا من علمه قبل كل علم و یا من إحسانه أكثر مما يُحصى!

۳- یا من يعلم كل مقصود و یا من هو موجود و أصل الوجود!

۴- یا من يُذلّ الأمور الصعبة من الكبار أصلح أمور البؤساء!

۵- یا من جمعينا عبادك لا إله إلا أنت!

أنشد نظامي:

طغراکش این مثال مشهور، بر شقّه چنان نبشت منشور^(۱)
کز حادثه وفات آن ماه چون قیس شکسته دل، شد آگاه،^(۲)
گریان شد و تلخ تلخ بگریست؛ بی‌گریه تلخ در جهان کیست^(۳)
(نظامی، لیلی و مجنون، ۲۵۴)

أوجه الخلاف في قصة مجنون ليلى بين الأدبين العربي و الفارسي:

۱- أبوقیس عند نظامي الکنجوى ملك من ملوك العرب وزملاء قيس و ليلى في
المکتب من أبناء ذوي المکانة في قومهم و هذا يختلف عن الروایات الواردة في کتب
الأدب العربي . أنشد نظامي:

کز مُلک عرب، بزرگواری، بوده است به خوب تر دیاری^(۴)
بر عامریان، کفایت، او را معمورترین ولایت، او را^(۵)
خاک عرب از نسیم نامش، خوشبوی تر از رحيق جامش^(۶)
صاحب هنری به مردمی طاق؛ شایسته ترین جمله آفاق^(۷)
سلطان عرب به کامکاری قارون عجم به مال داری^(۸)
(نظامی، لیلی و مجنون، ۵۷)

۱- کتب الكتاب السلطاني هذا المثال المعروف في صدر الأمر السلطاني :

۲- بعد أن فهم قيس المهموم وفاة ذلك القمر الجميل (ليلى).

۳- أجهش بالبكاء و هل يوجد في العالم شخص لا يبكي؟!

۴- كانت السيادة في ملك العرب لأحسن الديار.

۵- و كانت الجدارة بين العامريين له و أحسن الولاية و أجدرها له.

۶- أصبح تراب العرب برائحة اسمه أطيب من رائحة الخمر الصافية النقية.

۷- كان فريداً بين الناس في فنونه و أجدرهم في الآفاق.

۸- في السعادة سلطان العرب و في المال قارون العجم.

جاء في الأغاني أقوال متضاربة عن أبي قيس؛ أهو رجل فقير أم من أصحاب الثروات؟

يقول أبو الفرج عن لسان قيس: «طَرَقْنَا ذات ليلة أضياف ولم يكن عندنا لهم أدم^(١)، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي: اطلب لنا منه أدمًا، فأتيته فوَقفت على خبائه فصَحْتُ به، فقال: ما تشاء؟ فقلت: طَرَقْنَا ضيفانُ، ولا أدمُ عندنا لهم فأرسلني أبي نطلب منك أدمًا، فقال: يا ليلى، أخرجي إليه ذلك النَّحْي^(٢)، فأمثلي له إناءه من السمن، فأخرجته ومعِي قَعْب^(٣)، فجعلتُ تصبُّ السمن فيه و نتحدَّث، فألهانا الحديث وهي تصبُّ السمن و قد امتلأ القعب ولا نعلم جمعياً، و هو يسيل حتى استتفعت أرجلنا في السمن... (ج ٢، ص ٣٠) و يقول في موضع آخر: «قيل إن شيخاً من بني مرة حدّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدُلِّلْتُ على محلّته فأتيته، فإذا أبوه شيخ كبير و إخوة له رجال، و إذا نَعَم كثير و خير ظاهر...». (ج ٢، ص ٨٠)

٢- اللقاءات الأولى التي جرت بين قيس و ليلى لم تكن عند سفوح جبل «التوباد» و هما يرعيان الغنم في قصة نظامي الفارسية، بل كانت في «المكتب» أي المدرسة الأولية ذات الفصل الواحد التي يتعلم فيها الصغار القرآن الكريم و مبادئ العلوم العربية و الحساب. في هذا الشأن اختلافات بين ماجاء في الأدب العربي و ما ذكره نظامي الكنجوي. جاء في ديوان مجنون ليلى :

و أجهشت للتوباد حين رأيته
و كبر للرحمن حين رأني
و أذريت دم العين لما عرفته
و نادى بأعلى صوته فدعاني

(شرح يوسف فرحات، ص ٣٠٤)

١- الأدم: ما يؤكل بالخيز أي شيء كان. - (لسان العرب، ج ١، ص ٩٦)

٢- النحي: الزق الذي يوضع فيه السمن. - (المصدر، ج ٤، ص ٧٨)

٣- القعب: قذح من خشب مقعر. - (المصدر، ج ١١، ص ٢٣٥)

نظامي الكنجوى يعتقد أن هذا اللقاء كان في المكتب و يقول :

کز هفت به ده رسيد سالش افسانهى خلق شد جمالش^(١)
هرکس که رخس ز دور دیدى بادی ز دعا بر او دمیدى^(٢)
شد چشم پدر به روى او شاد از خانه به مکتبش فرستاد^(٣)
دادش به دبیر دانش آموز تا رنج بر او برد شب و روز^(٤)

(نظامی، کلیات، ٤٧١، و نیز زرین کوب، ١١٧ و مابعدها)

٣- السبب في رفض أبي ليلى تزويجها قيساً، ليس هو تشبيهه بها في الشعر كما جاء في الأصل العربي؛ بل لأن قيساً قد أصابه الجنون بسبب حبه لليلى، فلمّا شاع ذلك بين الناس لم يشأ والد ليلى أن يزوّج ابنته بمجنون خوفاً من العار. جاء في ديوان مجنون ليلى:

يسمّونى المجنون حين يروني نعم بي من ليلى الغداة جنون

(شرح يوسف فرحات، ١٨٣)

يتكلّم صاحب الأغاني في موضع آخر من كتابه عن ندم أبي ليلى بعد وفاة المجنون و

يقول :

قال الهيثم: فحدّثني جماعة من بني عامر: أنه لم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرةً صارخةً عليه تنديه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحرّ بكاء، و يتشجّون عليه أشدّ نشيج، و حضّروهم حتى ليلى معزّين و أبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً و بكاءً عليه، و جعل يقول: ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كل هذا، و لكنّي كنت امرأً عربياً أخاف من العار و قبح الأحدوثه ما يخاف مثلي، فزوّجتها و خرجت عن يدي، ولو

١ - عند ما وصل عمرها من السبع إلى العشر أصبح جمالها شهيراً بين الناس.

٢ - كل من شاهد وجهها من بعيد دعا لها بألوان الدعاء.

٣ - بعد أن قرّت عين أبيها أرسلتها إلى المكتب. ٤ - و أودعها عند المعلم ليعلمها ليلاً و نهاراً.

علمت أن أمره يجري على ما هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان عليّ في ذلك». (ج ٢، ٨٣)

و ممّا يثبت سبب هذا الرفض، قول النظامي :

چون گفته شد این حدیث فرخ، دادش پدر عروس، پاسخ (١)
کاین گفته نه برقرار خویش است میگو تو، فلک به کار خویش است (٢)
گرچه سخن، آبدار بینم با آتش تیز، کی نشینم (٣)
گر دوستی درین شمار است دشمن کامیش صد هزار است (٤)
فرزند تو گرچه هست بدرام، فرخ نبود چو هست خودکام (٥)
دیوانگی همی نماید دیوانه حریف ما شاید (٦)
اول به دعا عنایتی کن وانگه ز وفا حکایتی کن... (٧)
دانی که عرب چه عیب جویند؛ این کار کنم مرا چه جویند؟! (٨)
(نظامی، لیلی و مجنون، ٧٢)

٤- استخدم نظامي الكنجوى في قصته الكثير من المصطلحات الصوفية التي تدل على «الوجد» و «السكر» و «العشق» بمعناها الصوفي، كما أوّل «الجنون» تأويلاً صوفياً و صرّح بأنه لا يعني ذهاب العقل؛ بل هو فرط المحبة للمحبوب فلا يرى المحب أحداً سواه

١- بعد أن رويت هذه القصة الجميلة، أجب أبوها قائلاً:

٢- ليس هذا الكلام كما تقولون، القدر يفعل فعله ولا يهتم بما تقولون.

٣- مع أنني أسمع ألوان الكلام، ولكني لا أجالس النار المحرقة.

٤- وإن كان بين هذا الجمع الغفير صديق فاعلم إن عدد الأعداء لا يُحصى!

٥- مع أن ابنك صعب لا يُدَلّ، غير مقبول لأنه مستبد برأيه.

٦- هو يُظهر الجنون دوماً ولا يليق بنا الإنسان المجنون.

٧- توّسل إلى الدعاء أولاً ثم تكلم عن الوفاء ثانياً!

٨- هل تدري أن هذا الأمر يعدّ عيباً عند العرب فإن فعلت هذا ماذا يسمّونني؟!

ولا یعبأ بأحد غیره. و یعتقد «نظامی» أن قیساً قد تحرر من سلطان العقل و صار تابعاً لسلطان القلب. انظر إلى الأبیات التالية من منظومة لیلی و المجنون لنظامی الکنجوي:

چون از گل مهر، بوگرفتند	با خود همه روزه، خو گرفتند ^(۱)
این جان به جمال آن، سپرده	دل برده و لیک جان نبرده ^(۲)
و آن بر رخ این، نظر نهاده	دل داده و کام دل، نداده ^(۳)
یاران به حساب علم خوانی؛	ایشان به حساب مهربانی ^(۴)
یاران، سخن از لغت سرشتند؛	ایشان لغتی دگر نوشتند ^(۵)
یاران، ورقی ز علم خواندند؛	ایشان نفسی به عشق راندند ^(۶)
یاران، صفت فعال گفتند	ایشان، همه، حسب حال گفتند ^(۷)
یاران به شمار، پیش بودند	ایشان به شمارِ خویش بودند ^(۸)

(نظامی، کلیات، ۴۷)

و یقول فی العشق :

دریاب که مبتلای عشقم و آزاد کن از بلای عشقم^(۹)

۱- عندما أحسّا رائحة المحبة، تعوداها کلّ يوم.

۲- هذا جعل روحه فداء لها و حکم علی قلبها و ترک جسمها.

۳- و تلك نظرت إلى وجهه و رغبت فيه و لكنها لم توصله إلى مراده.

۴- كان زملاؤهما مشغولين بتعلّم الحساب و لكنهما كانا مشغولين بحساب المحبة (تبادل المحبة).

۵- كان زملاؤهما يتعلّمون المفردات و لكنهما يكتبان كلمة أخرى (كلمة العشق).

۶- كان زملاؤهما يقرأون ورقاً من العلم و لكنهما يتنفسان تنفس العشق (يتكلمون عن العشق).

۷- كان زملاؤهما يتكلمون عن الأفعال و لكنهما يتكلمان عن تقرير ما وقع منهما.

۸- كان زملاؤهما يتكلمون عن الضمة (علامة الرفع) و لكنهما يتكلمان عن أنفسهما.

۹- أدرکنی فإني غریق فی بحر العشق و نجّنی من بلاء العشق!

- مجنون چو حدیث عشق بشنید، اوّل بگریست، پس بخندید^(۱)
 از جای، چو مارِ حلقه، برجست در حلقه زلف کعبه، زد دست^(۲)
 می گفت گرفته حلقه در بر: کامروز منم چو حلقه بر در^(۳)
 در حلقه عشق، جان فروشم بی حلقه او مباد گوشم^(۴)
 گویند: ز عشق کن جدایی؛ کاینست طریق آشنایی!^(۵)
 من قوت ز عشق می پذیرم گر میرد عشق، من بمیرم^(۶)
 پرورده عشق شد سرشتم جز عشق مباد سرنوشتم^(۷)
 آن دل که بود ز عشق، خالی سیلاب غمش براد حالی!^(۸)

(المرجع السابق، ۴۸۳)

- ۵- صوّر «نظامی» علی آنها قد بقیت عذراء طوال حیاتها حتی ماتت، رغم أنها قد تزوجت و هو ما لم یرد فی الأصل العربی .
 ۶- للیلی فی قصة «نظامی» دور إیجابی لم یکن لها منه نصیب فی الأصل العربی . انظر إلی البیتین التالیین:
 بیرون ز حساب نام لیلی با هیچ سخن نداشت میلی^(۹)

۱- عندما سمع المجنون قصة العشق، بکی فی بدء الأمر ثم ضحك.

۲- وثب كالتعبان من مكانه و أخذ بيده حلقة الكعبة.

۳- كان يقول و هو أخذ بحلقة الكعبة: إني اليوم كالحلقة علی الباب.

۴- إني باذل نفسي فی حلقة العشق و حلقته فی أذني دوماً. (إني خادم العشق)

۵- يقولون لي: اترك العشق فهذا هو طريق المعرفة.

۶- ولكنني ارتق العشق و إن مات العشق متّ قبله.

۷- اني مروب العشق ولا مصير لي الا العشق.

۸- كل قلب لم يدخله العشق، يجرفه سيل الحزن حالاً.

۹- كان اسم لیلی جارياً فی كل لسان و لكنها لم ترغب فی أى كلام.

هرکس که جز این سخن گشادی، نشنودی و پاسخش ندادی^(۱)

(نظامی، کلیات، ۶۶)

في هذه الأبيات إشارة إلى ما جاء في الأصل العربي لهذه القصة: عندما قال له أبوه: «تعلق بأستار الكعبة و اسأل الله أن يعافيك من حب ليلي»، قال المجنون حينذاك: «اللهم زدني حباً و بها كلفاً، ولا تنسني ذكرها أبداً». (الأصفهاني، ج ۲، ص ۸۵) و لما رأى الناس محرمين يطوفون و يدعون، أنشد قائلاً:

دعا المحرمون الله يستغفرونه	بمكة وهنأ أن تمحى ذنوبها
و ناديت أن يا رب أول سؤلتي	لنفسى ليلي ثم أنت حسيها
فكم قائل قد قال تب، فعصيته	و تلك لعمرى توبة لا أتوبها

(محمد السعيد، ص ۲۱۷)

و ممّا يثبت وفاء ليلي، يمكن الإشارة إلى الأبيات التالية و هي تجيب عن رسالة المجنون إليها:

از بس که نمود نوحه سازی،	بخشود دلم بران نیازی ^(۲)
گفتم: چه کسی و گريت از چیست؟	نالیدن زارت از پی کیست؟ ^(۳)
بگشاد شکر به زهرخنده،	کی بر جگرم نمک فکنده ^(۴)
لیلی بودم و لیکن اکنون	مجنون ترم از هزار مجنون ^(۵)
ز آن شایفته سیه ستاره،	من شایفته تر، هزار باره ^(۶)

۱- کل من کان یتکلم عن غیر هذا الکلام (عشق مجنون)، لم تهتم به و لم تجب عنه.

۲- بما أني سمعت نواحها كثيراً، أحببت عنها و سألتها.

۳- من أنت و لم هذا البكاء و لمن أنینک هذا؟ ۴- تبسمت تبسم الزهرة فقالت: يا من أحرقت كبدی!

۵- كنت ليلي و لكني الآن أشد جنوناً من كل مجنون.

۶- إن كان المجنون شديد العشق، فإني أشد منه الف مرة.

او گرچه نشانه‌گاه درد است آخر نه چو من زنت، مرد است! (۱)
در شیوه عشق هست چالاک کز هیچ کسی نیایدش باک (۲)
(نظامی، کلیات، ۵۴۳)

۷- بالغ نظامی فی وصفه لمعركة كبيرة جرت بين «نوفل بن مساحق» و من معه من أصحاب و جنود و بین أهل لیلی بسبب رفضهم وساطة نوفل. انظر إلى الأبيات التالية :

گنجینه‌گشای این خزینه، سر باز کند ز گنج سینه (۳)
کان روز که نوفل آن سپه راند، بیننده بدو شگفت در ماند (۴)
از زلزله مصاف خیزان، شد قلّه بوقبیس، ریزان (۵)
خصمان چو خروش او شنیدند، در حرب شدند و صف کشیدند (۶)
سالار قبیله با سپاهی، بر شد به سر نظاره‌گاهی (۷)
صحرا همه نیزه دید و خنجر و آفاق گرفته موج لشگر (۸)
از نعره کوس و ناله نای، دل در تن مرده می شد از جای (۹)
(نظامی، کلیات، ۵۴۳)

۱- مع أنه مرمى الآلام، لكنه ليس امرأة بل هو رجل.

۲- في طريق العشق حازم ولايبالي أحداً في هذا السبيل.

۳- صاحب هذا الكنز يفتح باب كنوز القلب و يقول :

۴- عندما هجم عليهم نوفل بجنوده، تعجب كل ناظرٍ إليه.

۵- بحيث انهارت قمة جبل أبي قبيس من شدة هجمته.

۶- عندما سمع الأعداء زئيره، تجهزوا واصطفوا أمامه.

۷- جاء سيد القبيلة بجنوده و استقر في المعركة.

۸- امتلأت البيداء بالرماح و السيوف و امتلأت الآفاق من الحجاقل.

۹- بحيث تموت الروح في كل جسم من شدة صوت الأبواق و أنين الناي.

نتيجة البحث:

إن الطابع الأخلاقي الذي انطوت عليه الروايات العربية لموضوع مجنون ليلى قد أثر في «نظامي الكنجوي» لينقل الموضوع من نطاقه التاريخي في اللغة العربية إلى مجال الأدب المحض في اللغة الفارسية. بما أن نقل قصة طويلة كقصة مجنون ليلى بالشعر عمل يحتاج إلى قدرة بالغة و حذاقة خاصة، فمن هنا يمكن القول بأن هذه القدرة كانت عند النظامي موجودة؛ ولا يستطيع أحد أن يبلغ مدى ما بلغه النظامي من القدرة الشعرية، وهو فارس هذه الحلبة حقاً.

التوضيحات:

- ١- «وامق و عذرا» قصة قديمة من بقايا العصر الساساني، نظمها الشاعر العنصري في بحر المتقارب، و قد ذكر دولتشاه أن رجلاً قدم قصة بهذا الاسم إلى الأمير عبدالله بن طاهر (٢٣٠-٢١٣هـ) في نيسابور، فلما سأله عنها قال إنها حكاية جميلة وضعها الحكماء لكسرى أنوشيروان، فقال له: نحن قوم نقرأ القرآن ولا نريد شيئاً غير القرآن و حديث النبي، و هذا الكتاب لا يفيدنا، و هو من تأليف المجوس و مردود لدينا و أمر بإلقاء الكتاب في النهر. (انظر: مقال الدكتورة إسعاد عبدالهادي باسم «أنواع الشعر الفارسي» في مجلة «الرصد الثقافي، العدد الثامن و العشرين، شباط ١٩٩٣م، ص ٥١ و أيضاً: فرهنگ معین، ج ٦، ص ٢١٩).
- ٢- «شادهر و عين الحياة» ترجمها أبوريحان البيروني من الفارسية إلى العربية باسم «قسيم السرور و عين الحياة» (فرهنگ معین، ج ٥، ص ٨٥٧).

منابع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر و الشعراء، دارالثقافة، بيروت.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، تعليق علي شيري، الطبعة الأولى، داراحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ ق. / ١٩٨٨م.

- ٤- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، الطبعة الأولى، دارالفكر، ١٤٠٧ هـ ق. / ١٩٨٦ م.
- ٥- محمد السعيد، جمال الدين، الأدب المقارن، الطبعة الأولى، دارثابت، القاهرة ١٤١٠ هـ ق..
- ٦- حسين، طه، حديث الأربعاء، دارالكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.
- ٧- زرین کوب، عبدالحسين، باكاروان حُلّه، تهران، ١٣٤٣ هـ ش.
- ٨- _____، پیر گنجہ در جستجوی ناکجا آباد، چاپ اول، انتشارات سخن، ١٣٧٢ هـ ش.
- ٩- زغلول، سلام محمد، تاريخ النقد العربي، دارالمعارف، مصر.
- ١٠- شهابی، علی اکبر، نظامی؛ شاعر داستان سرا، تهران، ١٣٣٧ هـ ش.
- ١١- عبدالهادي، إسعاد، مجلة الرصد الثقافي، العدد الثامن و العشرون، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بيروت، ١٩٩٣ م.
- ١٢- غنيمي هلال، محمد، الأدب المقارن، الطبعة الخامسة، دارالعودة، بيروت.
- ١٣- فرحات، يوسف، شرح ديوان مجنون ليلي، الطبعة الثانية، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ ق. / ١٩٩٤ م.
- ١٤- فزوخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ١٥- كفافى، محمد عبدالسلام، في الأدب المقارن، الطبعة الأولى، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٧١ م.
- ١٦- معين، محمد، فوهنگ معين، انتشارات اميركبير، ١٣٧١ هـ ش.
- ١٧- ندا، طه، الأدب المقارن، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٤١٢ هـ ق.
- ١٨- نظامی، گنجوی، کليات، به تصحيح دكتور حسن وحيد دستگردی، چاپ اول، انتشارات راد، ١٣٧٤ هـ ش.
- ١٩- نظامی گنجوی، لیلی و مجنون، به تصحيح دكتور حسن وحيد دستگردی، چاپ اول، انتشارات راد، ١٣٧٤ هـ ش.
- ٢٠- نيسی، سعيد، ديوان قصايد و غزليات نظامی، چاپ رنگين، ١٣٣٨ هـ ش.

